الوهابية والحروب الوهابية في الجغرافيا السعودية (1700-1818)

المؤلف : إبراهيم الموحد الوهابي

الحركة الوهابية وتاريخها (من 1700 إلى 1802)

الحركة الوهابية هي حركة إصلاحية في الإسلام ظهرت في القرن الثامن عشر، وتحديدًا في منطقة نجد، وهي أحد أقاليم جزيرة العرب. أسس هذه الحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي كان قد تأثر بفكر شيخ الإسلام ابن تيمية، وتبنى فكرة العودة إلى أصل الإسلام النقي والطاهر، بعيدًا عن البدع والخرافات التي انتشرت في المجتمعات الإسلامية بعد العصور الأولى. يعتبر الوهابيون أن الإسلام قد تعرض للتحريف من قبل من اتبعوا طرقًا مبتدعة مثل الصوفية وعبادة القبور والأولياء، وكان هدفهم الرئيسي هو إحياء التوحيد الخالص. ظهرت الحركة الوهابية في بداية القرن الثامن عشر على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في منطقة نجد، تحديدًا في مدينة العيينة، حيث بدأ بتعليم الناس أهمية التوحيد ونبذ البدع. دعوته كانت تقوم على العودة إلى الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين. كانت دعوته تركز على محاربة الشرك بأنواعه، مثل تقديس القبور والأولياء، والممارسات الصوفية التي انتشرت في بلاد المسلمين. رفض الشيخ محمد بن عبد الوهاب كل ما اعتبره بدعة أو إضافة على الدين من ممارسات، مثل بناء الأضرحة حول القبور أو ما يسمى بالتصوف. وقد استند في دعوته إلى ما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي، مُطالبًا المسلمين بالعودة إلى جوهر الدين كما كان عليه في عهد الصحابة. في عام 1744، وقع الشيخ محمد بن عبد الوهاب اتفاقًا تاريخيًا مع محمد بن سعود أمير الدرعية، وهو الاتفاق الذي أسس للسلطة الوهابية. هذا التحالف بين الدعوة الوهابية وآل سعود كان له تأثير كبير في نشر الفكر الوهابي وتوسيع نفوذه، حيث أصبح لدى آل سعود الآن قوة سياسية وعسكرية لفرض أفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية. تحول هذا التحالف إلى نوع من الدولة الدينية العسكرية التي تسيطر على نجد، وبدأت الدعوة الوهابية تنتشر في مختلف مناطق الجزيرة العربية، مستهدفةً التخلص من الممارسات التي اعتبرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب مخالفةً للشريعة الإسلامية. لم تكن الحركة الوهابية مقبولة لدى السلطنة العثمانية ولا لدى كثير من العلماء في العالم الإسلامي. فقد رأت السلطة العثمانية في الحركة تهديدًا لسلطتها في الحجاز والجزيرة العربية، خاصة أن هذه الحركة كانت تدعو إلى نقاء العقيدة ومحاربة الفساد الذي انتشر في تلك الفترة، مثل عبادة القبور والتوسل بالأولياء. فكانت السلطات العثمانية تخشى أن يؤدي

ذلك إلى تفكك وحدة المسلمين تحت سلطتها. على الرغم من مقاومة العلماء التقليديين والحكومات المحلية، استطاع الوهابيون التوسع بشكل كبير في أنحاء جزيرة العرب، واحتلال مكة المكرمة والمدينة المنورة بشكل تدريجي. وقد أدى ذلك إلى غضب كبير في العالم الإسلامي، خاصة في الحجاز، حيث كان هناك ارتباط قوي بالعائلة الهاشمية الحاكمة في مكة والمدينة. في عام 1801، تمكن الوهابيون من فتح مدينة كربلاء في العراق، وهي مدينة ذات أهمية خاصة لدى الشيعة بسبب وجود ضريح الإمام الحسين بن علي فيها. قام الوهابيون بتدمير الضريح والعديد من الأضرحة الأخرى، مما أثار غضبًا واسعًا في العالم الإسلامي. وفي عام 1802، قاموا أيضًا بهجوم على مكة المكرمة، حيث دمروا الأضرحة وأثاروا قلقًا كبيرًا بين المسلمين في جميع أنحاء العالم. كانت هذه الهجمات بمثابة تأكيد على نهج الحركة الوهابية في محاربة ما اعتبروه "الشرك" و"البدع"، واستمرت حملاتهم في نشر فكرهم بأن الإسلام لا ينجو من التلوث إلا بتطهيره من كل ما أضافه الناس من عبادة للأضرحة أو زيارة القبور. مع تقدم الوهابيين في مناطق الحجاز ونجد، بدأ العثمانيون في التحرك عسكريًا لاستعادة هذه الأراضي التي سيطر عليها آل سعود ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. في عام 1811، أرسل والي مصر محمد علي باشا حملة عسكرية ضخمة لقتال الوهابيين في الجزيرة العربية. وبعد معارك عديدة، استطاع الجيش العثماني هزيمة الوهابيين واستعادة السيطرة على الحجاز. وفي عام 1818، تم تدمير الدولة الوهابية بشكل كامل بعد الهزيمة الكبيرة التي لحقت بها. لكن على الرغم من ذلك، لم تنتهِ الدعوة الوهابية تمامًا. فقد استمرت جذورها في النمو، وظهرت مجددًا في القرن العشرين عندما أسس عبد العزيز بن سعود دولة المملكة العربية السعودية الحديثة، التي أصبحت تحمل الراية الوهابية بشكل رسمي. الحركة الوهابية كانت واحدة من أكبر الحركات الإصلاحية في تاريخ الإسلام الحديث. على الرغم من أن الدولة الوهابية قد تم القضاء عليها بشكل مؤقت في القرن التاسع عشر، إلا أن أفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقيت حيةً، وكان لها تأثير كبير على تأسيس المملكة العربية السعودية في القرن العشرين. حتى اليوم، تُعتبر المملكة العربية السعودية الدولة الوحيدة التي تتبنى الوهابية كإيديولوجية رسمية، وتؤثر بشكل كبير على الفكر الإسلامي في مناطق عديدة من العالم. تاريخ الحركة الوهابية في الفترة بين 1700 و1802 هو تاريخٌ مليء بالصراع والتحدي، ولكنه كان أيضًا بداية لنهضة دينية وفقًا لفهم الوهابيين للإسلام، والذين يعتبرون أنفسهم حماة للتوحيد ومنقذي الأمة الإسلامية من البدع التي غزت مجتمعات المسلمين.

الآراء والتيارات الوهابية (1802-1806)

تشكلت الحركة الوهابية في أوائل القرن الثامن عشر في نجد، المنطقة الوسطى من الجزيرة العربية، بهدف العودة إلى جوهر دين الله. وكان رائد هذه الحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي دعا إلى حياة تقوم فقط على الإيمان بالتوحيد والإسلام الأصيل، وذلك بإزالة كل البدع من دين الله. وقد أكد الشيخ محمد بن عبد الوهاب على عدم قبول الشريك في عبادة الله تعالى، والتوجه إليه وحده، ونبذ كل العقائد المنحرفة

والأعمال السيئة التي كانت قائمة في المجتمع الإسلامي. وقد رفض الشيخ محمد بن عبد الوهاب تعاليم الطرق الصوفية التي أوقعت الناس في الشرك والبدع، واعتبر العبادات البدعية التي تؤدى عند القبور والدعاء والدعاء الموجه لغير الله من المحرمات، وهدف إلى إزالة كل أنواع العبادات البدعية التي لم تدخل في الإسلام. وذلك لأن الدين هو الإيمان بالله وحده، والاستقامة على الصراط المستقيم الذي حدده الله تعالى. وفي ضوء هذه الحقيقة تهدف الحركة الوهابية إلى تنقية الإسلام والعودة به إلى حالته النقية. وقد تشكل مركز الفكر الوهابي على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عام 1744م في مركز الفكر الوهابي الذي كان مركزه في السعودية. وقد خلق هذا التحالف قوة دينية وسياسية على حد سواء، وبحلول نهاية القرن الثامن عشر امتد هذا التحالف إلى مدن الإسلام المقدسة، الحجاز. ومع هذا التحالف، لم تؤسس السلالة السعودية سيادة دينية فحسب، بل هيمنت أيضًا على قلب شبه الجزيرة العربية. ونتيجةً لذلك، وجدت التعاليم الوهابية قبولًا واسع النطاق واستمرت في الانتشار. وقد كانت البعثات إلى كربلاء وجنوب العراق في عامي 1801 و1802 تحت تأثير الحركة الوهابية خطوة كبيرة إلى الأمام في الدفاع عن جوهر الإسلام، في الوقت الذي كان فيه قدر كبير من التقليد والبدع ينتشر بين الناس. وكان لهذه الحركة صدى ليس فقط في شبه الجزيرة العربية بل في العالم الإسلامي كله، وقوبلت بردود فعل كبيرة. غير أن الفتوحات التي قامت بها القوات الوهابية في مكة المكرمة والمدينة المنورة في 1803-1805 اعتبرت انتصارًا في الدفاع عن دين الله وتنقيته. إلا أن هذه الانتصارات قوبلت بمعارضة كبيرة من أماكن أخرى في العالم الإسلامي، وخاصة من الإمبراطورية العثمانية. وكان ذلك لأن الآراء التطهيرية للحركة الوهابية تجاهلت العديد من التقاليد والاختراعات الراسخة وتعارضت مع السلطات الدينية في ذلك الوقت. ولذلك، تسبب النفوذ الوهابي المتزايد في انزعاج الدول المجاورة، وازدادت ردود الفعل ضد هذه الحركة التي استمرت في التوسع في شبه الجزيرة العربية. وفوق كل شيء، دعت الحركة الوهابية إلى العودة إلى جوهر الإسلام ورفضت كل المعتقدات المبتدعة. وخاض الوهابيون نضالاً يدعو إلى الشكل النقي لدين الله، أي عبادته وحده وتطبيق شرائعه. وعلى الرغم من أن هذا التغيير الثوري في العالم الإسلامي أثار رد فعل هائل، إلا أن الفكر الوهابي قد تجذر بإذن الله في هذه الأرض واستمر في توسيع نفوذه. بين عامي 1802 و1805، نظم الوهابيون عدة غارات صغيرة على النجف، وعلى الرغم من أنهم حققوا بعض النجاحات الأولية، إلا أنه لا يمكن اعتبار هذه الهجمات انتصارًا كاملًا. فبالرغم من أن القوات الوهابية أغارت على النجف، إلا أن السكان الشيعة والزعماء الدينيين في المدينة تمكنوا من صد هذه الهجمات بمقاومة قوية. وبما أن النجف كانت مدينة في غاية الأهمية بالنسبة للعالم الشيعي، فإن دفاع السكان والمرجعيات الدينية فيها لم يكن يعتبر ردًا دينيًا فحسب، بل كان انتصارًا استراتيجيًا أيضًا. في عام 1806، حشدت القوات الوهابية مرة أخرى لمهاجمة النجف. لكن هذه المرة، لم يواجهوا هذه المرة معارضة من السكان المحليين فحسب، بل أيضًا من شخصيات دينية مهمة مثل جعفر الكاشف، أحد زعماء الشيعة في المنطقة. أصبح جعفر الكاشف شخصية مهمة في النضال ضد الحركة الوهابية، وتحت قيادته نظم الشيعة المحليون أنفسهم وقاوموا بقوة ضد الهجمات الوهابية. استمرت الهجمات الوهابية في حصار النجف، ولكن بفضل مقاومة السكان المحليين والتوجيه الاستراتيجي

لجعفر الكاشف، تم صد الوهابيين. كانت هذه ضربة مهمة للحركة الوهابية. لأنه في الوقت الذي كان الوهابيون يحاربون كل أنواع البدع والمبتدعين، ويدافعون عن طريق الإسلام النقي، منعتهم هذه المقاومة القوية من السكان المحليين والمرجعيات الدينية الشيعية من مواصلة التقدم في هذه الأراضي. من وجهة نظر الوهابيين، لم تكن مقاومة النجف إلا إحدى العقبات التي واجهتها الحركة الساعية للعودة إلى جوهر الإسلام. إلا أن هذه المقاومة قد زادت من قوة الحركة الوهابية في كفاحها ضد البدع، وقادتها إن شاء الله إلى كفاح لا هوادة فيه ضد الانحرافات الأكثر رسوخاً وتجذراً. ولم يكتف الوهابيون بشن حرب مادية فحسب، بل استمروا في شن حرب عقائدية في جميع أنحاء العالم، وواصلوا مقاومتهم رغم كل الصعاب دفاعاً عن جوهر الإسلام.

الحروب ضد الشيعة الذين أرادوا إيقاف الحركة الوهابية (1808-1811)

وكانتالقوى الوهابية بقيادة سعودبن عبد العزيز تقوم بمقاومة كبيرة ضد طغيان الطواغيت وانتشار البدع. إلا أن هذه المقاومة لم تكن مجرد مقاومة محلية، بل كانت جزءًا من صراع أكبر ضد الشرك في جميع أنحاء العالم الإسلامي. خلال هذه الفترة، تضافرت سلطة القاجاريين وسلطة سعيد بن سلطان في عُمان لتدمير الحركة الوهابية. وعلى وجه الخصوص، كانت المعارك الحاسمة مثل معركة إزكي لحظات مهمة أظهرت صمود الحركة الوهابية ونضالها. بينما كان القاجاريون بقيادة فتحعلي شاه يحاولون تأسيس قوة قوية في المنطقة الفارسية، بمساعدة العمانيين، أرسل القاجاريون بمساعدة العمانيين القاجاري ميرزا سعدي خان أو صادق خان دافلو القاجاري إلى المنطقة. في أوائل عام 1808، تجمع القاجاريون العمانيون الذين تمكنوا من استعادة حصون نخال في إزكي تحديدًا لكسر المقاومة الوهابية. وفي الوقت نفسه، تمكن مطلق السعوديين من حشد القبائل العربية وحتى قبيلة بني بو علي العمانية من حوله. وقعت المعركة في 10 يونيو 1808. سحق الوهابيون التحالف القاجاري العماني بالكامل. وكان النصر لصالح الوهابيين. ثم ذهب الوهابيون إلى مطرح، حيث نهبوها لأنهم منعوا انتشار فكرة جديدة نقية وعادلة للإسلام. كما كان لهذا النصر دور كبير في الاستيلاء على سمائل. وربما بحلول 1809-1810 كانوا قد تقدموا حتى مسقطة. أراد الوهابيون، الذين كانت لهم يد في النهب، ضم البحرين إلى أراضيهم. وفي هذه المرة، طلب إمام مسقط المساعدة من القاجاريين وساعده في ذلك صادق خان دافلو القاجاري الذي أرسله حسين علي ميرزا. وكان قد حارب الوهابيين من قبل. ومن المحتمل أن يكون هو صادق خان السعدي المذكور في المصادر السعودية. وبعد فك الحصار عن مسقط والبحرين اللتين كان الوهابيون يحاصرونهما وهزمهم في هاتين المنطقتين، حشد صادق خان جيشًا في مسقط وتحرك نحو الدرعية عاصمة الإمارة. ومن المحتمل جدًا أن القاجاريين لم تكن لديهم رغبة في احتلالها. بل أرادوا فقط تلقين الوهابيين درساً على هزيمتهم السابقة ونهب الوهابيين في مسقط. فأرسل سعود الكبير قائد الإمارة سيف بن مالك ومحمد بن سيف إلى الدرعية لهزيمة القاجاريين. وهنا وقعت معركة كبيرة ودامية. أُصيب سيف ومحمد بن سعود بجروح بالغة واضطرا إلى مغادرة ساحة

المعركة. انتصر القاجاريون في المعركة بشكل حاسم ونهبوها. وقعت الأحداث في مارس-أبريل 1811. وهكذا، انتقم القاجاريون بالتأكيد لهزيمتهم في عام 1808. ومع ذلك، لم تنهار الحركة الوهابية ورغم الهزيمة حاولوا تطوير أنفسهم. وفي الوقت نفسه كانوا في حرب مع العثمانيين على الجبهة الأخرى. انتهت هذه الحرب عام 1818 بهزيمة الوهابيين. وبدا الآن أن مذهب الإسلام النقي قد تعرض لضربة كبيرة.

الجبهات العثمانية والحروب والعمليات (1811-1818)

تُعبّر حروب العثمانيين والوهابيين عن سلسلة من الصراعات الجادة التي حدثت في بداية القرن التاسع عشر،خصوصًا في منطقة الحجاز،بين الدولة العثمانية وحركة الوهابية.كانت هذه الحروب نقطة تحول حاسمة حيث كانت سلطة الدولة العثمانية السياسية والدينية مهددة،في حين أظهرت حركة الوهابية مقاومة كبيرة دفاعًا عن معتقداتها الدينية.أخذت الدولة العثمانية تهديد الوهابية على محمل الجد،فأصدرت تعليمات في عام 1811 لحاكم مصر محمد علي باشا بشن حملة ضد حركة الوهابية.كان الهدف الرئيس للدولة العثمانية هو استعادة هيمنتها الدينية في الحجاز ومنع انتشار الحركة الوهابية.في عام 1811،خرج محمد علي باشا في حملة كبيرة،ووصل إلى الحجاز في عام 1812.في عام 1813،حقق محمد علي باشا انتصارًا كبيرًا،حيث غزا أراضي الوهابيين واعتقل قادتهم.لكن هذا النصر كان مجرد تفوق عسكري،ولم يكن القضاء على حركة الوهابية بشكل كامل ممكنًا،لأن أيديولوجية الوهابية قد وجدت دعمًا عميقًا بين الناس وامتدت بقوة إلى قاعدة دينية واسعة.كان سكان الحجاز المحليون غير راضين عن حكم العثمانيين،وكانت وعود حركة الوهابية بتطهير الدين قد جذبت الكثيرين إليهم.في عام 1818،نظمت الدولة العثمانية حملة كبرى ثانية ضد حركة الوهابية،ولكن مرة أخرى،كانت الصعوبات التي واجهتها تبرز قوة المقاومة الوهابية.لم يكن النصر الذي حققه الجيش العثماني في هذه المعركة يعني القضاء على الأيديولوجية الوهابية،بل كانت السيطرة العسكرية مقتصرة على بعض المواقع العسكرية فقط.وعلى الرغم من أن قادة الوهابية تم نفيهم،فإن تأثير الحركة الأيديولوجي استمر لفترة طويلة.كانت حروب العثمانيين والوهابيين أكثر من مجرد صراع عسكري بين قوتين،فقد كانت مواجهة بين مفاهيم إسلامية مختلفة.لقد دافعت حركة الوهابية عن فهم أكثر صرامة ونقاء للإسلام ضد الفهم التقليدي الذي كان سائدًا في الدولة العثمانية.هذه الحروب قد أضعفت الهيمنة السياسية والدينية للدولة العثمانية في الشرق الأوسط،وفي الوقت نفسه عززت تأثير حركة الوهابية في المنطقة.على الرغم من أن حركة الوهابية لم تتمكن من تحقيق النجاح الكامل ضد العثمانيين على المدى القصير،فإن الانتصارات الأيديولوجية التي تحققت في هذه الفترة قد وضعت الأساس لتأثير الحركة على المدى الطويل.لا تزال تعاليم الوهابية،خصوصًا في المملكة العربية السعودية،موجودة بقوة،ولا يزال تأثير هذه الحركة مستمرًا حتى يومنا هذا.قدمت المقاومة الوهابية تحديًا كبيرًا للجيش العثماني،خاصة في المناطق الجبلية والمدن في الحجاز حيث وقعت معارك عنيفة.لم يقتصر الوهابيون على المقاومة العسكرية فقط،بل خاضوا أيضًا صراعًا أيديولوجيًا دفاعًا عن معتقداتهم الدينية.كان قادة الوهابية ينتقدون دائمًا

الفهم العثماني للإسلام الذي كان يعتمد على البدع،وكانوا يدافعون عن فهمهم النقي للإسلام في كل مناسبة.

النتيجة التي يمكن استخلاصها مما قرأناه

ظهرتالحركةالوهابيةفيمنتصفالقرنالثامنعشركمؤسسةدينيةإصلاحيةاستنادًاإلىتعاليممحمدبنعبدالوهاب.الهد
فالأساسيلهذهالحركةهوإعادةالإسلامإلىجوهره،ورفضالبدعوالخرافاتالتيانتشرتبينالناس.دافعتالحركةالوهابيةب
شكلخاصعنتهييلم
الإسلامالنقيفشبهالجزيرالعربية،ووقفتضدالممارساتالتيادعيتأنهاانحرافاتعنجوهرالإسلام.سعتالحركةالوهابي
ةإلىمواجهةالممارساتالدينيةالمحليةوالخلافاتالمذهبيةالمنتشرةبينالناس،والتياعتُبرتبمثابةانحرافاتعنالتعليما
لنقيللإسلام،واتبعتموقفًاصارمًاتجاههاتالممارسات.نظمتكلاهمايمبراطوريتيالقاجاروالدولةالعثمانيةعملياتا
عسكريةلوقفالحركةالوهابية،لكنهالمتتمكنمنالقضاءعلىالأسسالأيديولوجيةلهذهالحركة.إنظهورالحركةالوهابي
ةلميكنمجردمحاولةلإحداثتجديدديني،بلكانأيضًاسعيًالإعادةتشكيلالمجتمعاتالإسلاميةمنالناحيةالدينية.دافع
تالحركةعنالفهمالمبكرللإسلام،مشككةفيمؤسساتدينيةتقليديةوالممارساتالدينيةالتيكانتسائدةفالمجتمع.هاتا
هالتعاليملاقتمعًاواسعًابينالناسفيشبهالجزيرالعربية،لكنالقوىالسياسيةالقويةمثلإمبراطوريةالقاجاروالدولةال
عثمانيةرأتفيهذهالحركةتهديدًاقاومتها.رغمالتدخلاتالعسكرية،فإنالحركةالوهابيةنجحتفيالحصولعلىدعمالعدي
دمنالناسبفضلسعيهالتنقيةالمعتقداتوالممارساتالدينية.لمتكنتعاليمالحركةالوهابيةمجردإصلاحاتدينيةقصيرا
لأمد،بلتركتتأثيرًاكبيرًاطويلالأمدفيمجتمعاتالإسلامية.نتيجةًلذلك،تعدالحركةالوهابيةحركةدينيةتهدفإلىالدفاع
عنالتعليمالنقيللإسلام،وقدتجاوزتتأثيرهجغرافيليخلقمجالًاتأثيرأوسعمعمرورالوقت.لقدأحدثتالحركةانقسامًا
في مفاهيمالديداخلالعالمالإسلامي،ومعذلكاستطاعالذينيؤمنونبصحتهابالحفاظعلىاستمراريتها.ولا
تزالأيديولوجيةالحركةالوهابية،خاصًافيالمملكةالعربيةالسعودية،حاضرةبقوة،ويستمر تأثيرهاإلىتيومناهذا.